

تطبيق منهج السيميائية عند "ريفاتير" في إعادة القراءة لقصيدة

"العبور إلى المنفى" لعدنان الصائغ

شمس واقفزاده (الكاتبة المسؤولة)*

محمدعلى منجری**

الملخص

في منهج ريفاتير السيميائي المبتنى على نظرية التلقي لدى القارئ، يمكن دراسة القصيدة الشعرية ضمن مستويين، هما القراءة الاستكشافية والقراءة الاستراتيجية. وفي هذه النظرية، تُكشَف بعض الجوانب الخفية للقصائد مع الاهتمام بالجوانب المختلفة لهيكل القصيدة، أي التراكم (التعابير المتراكمة) والأنظمة الوصفية والهيبيوغرام أي الموضوعات الرئيسية والماتريس (النسيج) البنيوي، ويتجلى أيضاً من خلال هذا المنهج التناسق والفكرة والمضامين التي تكمن وراء المعاني الظاهرية والسطحية للقصيدة. يتطرق هذا المقال إلى استخدام المنهجية السيميائية لريفاتير في خطوة لإعادة قراءة قصيدة "العبور إلى المنفى" لعدنان الصائغ، بأسلوب وصفي - تحليلي بهدف فهم واستيعاب القدرات والطبقات الخفية وتقديم قراءة جديدة لتلك القصيدة. فُتْظَر نتائج البحث في تحليل هذه القصيدة، أن التراكم في القصيدة يتمحور حول "السلطة والسيطرة"، و"المعاناة والحزن"، و"الاستعمار"، و"النضال والاحتجاج"، والمنظومة الوصفية لـ "القطار"، و"المرأة"، و"الوطن"، و"المنهم". ويمكن كشف منشأ "الأوضاع المأساوية للماضي - وهي حالة ملازمة للقلق والحزن - واليأس من تحسن الأوضاع في المستقبل". أما العناصر اللاقواعدية (الانزياحية) أو الصور البلاغية المستخدمة في هذه القصيدة هي؛ الاستعارة، والتشبيه، والكنائية، وكذلك مجاز الجزء من الكل. وقد تحول أصل دلالة هذه القصيدة إلى نص قصيدة "العبور إلى المنفى" من خلال ثلاث قواعد لتحديد العوامل المتعددة. فاكشف الماتريس (النسيج) البنيوي يثبت أن السيميائية الشعرية في القصيدة، على الرغم من اختلافها في المظهر، إلا أنها في الواقع تعكس حقيقة واحدة وهي متغيرات (التعابير المتراكمة والمنظومة الوصفية) لصفة ثابتة (الهيبيوغرام).
الكلمات الدليلية: السيميائية، ريفاتير، ماتريس، هيبيوغرام، عدنان الصائغ.

**. أستاذة مساعدة في قسم اللغة الفارسية وآدابها، فرع ورامين-بيشوا، جامعة آزاد الإسلامية، طهران، إيران
shvaghefzadeh@yahoo.com

**. طالب دكتوراه في اللغة الفارسية وآدابها، فرع ورامين-بيشوا، جامعة آزاد الإسلامية، طهران، إيران
m_manjary@yahoo.com

تاريخ القبول: ١٣٩٩/٧/١٧ش

تاريخ الاستلام: ١٣٩٩/٣/١٢ش

المقدمة

الموضوع والأهداف

ميكائيل ريفاتير^١، ناقد فرنسي أمريكي، وأحد اللغويين البنيويين الذي اقترح أسلوباً سيميائياً لقراءة الشعر. طرح نظريته في كتابه سيمياء الشعر^٢ (١٩٧٨م). في منهج ريفاتير تُشرح أولاً العناصر التي تحدّد أدبيات النص ويكشف القارئ تلك العناصر معتمداً على قدرته الأدبية^٣ ويستخدمها في تحليل النص. وفي كتابه سيمياء الشعر، قدّم ريفاتير أسلوبه على أساس مبادئ اعتبرها «انعكاسات عالمية للغة والأدب.» (ريفاتير، ١٩٧٨م: ٩) لذلك يمكن قراءة قصائد جميع اللغات في ضوء منهجه، بما في ذلك العربية. وفي هذا الصدد، تهدف الدراسة الحالية إلى تحليل قصيدة "العبور إلى المنفى"^٤ لعدنان الصايغ^٥ على أساس نظرية ريفاتير السيميائية في الشعر، لتبين العلامات الدلالية المستخدمة في القصيدة ضمن تقديم أسلوبه وتطبيق هذه النظرية في مجال الشعر العربي المعاصر. كتبت القصيدة في فترة نفى الشاعر. فنظراً إلى الظروف الاجتماعية والسياسية للشاعر خلال هذه الفترة، يبدو أن استخدام الرموز والعلامات

1. Michael Riffaterre

2. Semiotics of poetry

٣. المقدرة الأدبية «معرفة القارئ بالمنظومات الوصفية، دلالات الأعمال الأدبية، الأساطير لاسيما معرفته بسائر النصوص الأدبية.» (ريفاتير، ١٩٧٨م: ٥) وهكذا، فإن القارئ الذي يمتلك القدرة الأدبية، فهو على سبيل المثال على دراية بمجموعة متنوعة من الأجناس الأدبية مثل الملحمة والهزل والشعر الغنائي والأساليب البلاغية وتوظيفها. وهو «في عملية قراءة الشعر يندفع بموازاة النص وشبكاته ويواجه باستمرار عقبات في التفسير إلا أنه يتغلب عليها.» (ليهان وكرين، ١٣٨٣ش: ٢٧٩)

٤. هي قصيدة من ديوانه "تأبط المنفى" لعدنان الصايغ. وهذا العنوان يذكّرنا بشاعر من شعراء الصعاليك، وهو "تأبط شراً". واختار عدنان هذا الاسم لديوانه إشارة إلى كلمة الشر التي استبدلها بكلمة المنفى وهذا الاستبدال يساوي الدلالة التي تستشف من كلمتي الشر والمنفى. (بهجات، ٢٠١٠م: ٧٤)

٥. هو أحد كتّاب المدرسة الواقعية وأحد أبرز شعراء الحرب وجيل الثمانينات من الشعراء العراقيين، ولد في الكوفة عام ١٩٥٥م. لقد تبلورت في شعره المشاكل الاجتماعية السياسية التي خلقها نظام صدام حسين والولايات المتحدة وحلفاؤها في منطقة الخليج الفارسي وخاصة في العراق. (الزريبي، ٢٠٠٨م: ٩) كما أنه «أحد شعراء المقاومة لأن المقاومة لا تقتصر على الوقوف في وجه الأجنبي، بل في مواجهة الاستبداد الداخلي أيضاً.» (صدقي، ١٣٩٤ش: ٤٣) تم نفى عدنان إلى بلدان مختلفة في عام ١٩٩٣م بسبب تياراته الفكرية والسياسية.

في الشعر كان رائجاً. يمكن لنظرية ريفاتير، من خلال تقديم تحليل منهجي للنص، أن تساعدنا في تفسير العلامات المستخدمة في هذه القصيدة وفهم قصائد عدنان الصائغ بشكل أدق، ما يؤدي إلى انتقال العلامات من مستوى أدنى إلى مستوى آخر أعلى من الدلالة وهي المدلولة.

منهج البحث

- في هذا البحث الذي اعتمد المنهج الوصفي التحليلي، يتم اعتبار القصيدة أولاً

كنص إبداعي ثم يتم تحديد التناقضات^١ -

- الحالات التي تمنع التوافق بين النص والواقع. في الخطوة التالية، تحدّد عمليات

الترام^٢ والأنظمة الوصفية^٣ ثم يتم اكتشاف الهيبوغرام^٤ ومن خلال الهيبوغرام

١. يطلق ريفاتير على التغييرات التي تجرى في اللغة العادية وتحوّلها إلى عمل أدبي، اللاقواعدية. وهكذا، يعتبر القواعد التي تشكل نظاماً دلاليّاً في لغة الشعر يعتمد على مرجعية النص إلى الواقع، قواعد نحوية. في هذه الحالة، يستخدم الشاعر تعابير وعبارات يتعرف عليها القارئ في العالم الخارجي فيدرك دلالتها أو مدلوليتها النظامية، والشاعر بإجرائه تغييراً في بناء اللغة العادية يحوّلها إلى اللاقواعدية، وبهذا يتجاوز مستوى المحاكات إلى مستوى المدلولة. (أبهران، ١٣٩٢ش: ١٠)

٢. التعابير المترامية: يعتقد ريفاتير أن كل لفظة تتألف من معنى أو عدة معانٍ مركزية لثابت لسلسلة معينة من المفردات المترادفة التي تتمحور حولها. ويحدث الترام حين يواجه القارئ مجموعة من الكلمات المترادفة التي تتمحور حول دلالة واحدة هي الدلالة المركزية المشتركة أو الثابت. على سبيل المثال إن الدلالة المركزية أو النواة الرئيسة لكلمة الزنق، هي عبّاد الشمس وشقائق النعمان. (بركت وافتخاري، ١٣٨٩ش: ١١٥)

٣. المنظومة الوصفية: «هي سلسلة من التعابير المترامية والمفردات المرادفة التي تعبّر جميعاً عن الدلالة المعينة.» (ريفاتير، ١٩٧٨م: ٣٩) في المنظومة الوصفية، تدور الأقسام (الدوائر) حول نواة رئيسية، وهي مظهر من مظاهر هذه النواة، وكل منها تشكّل جانباً من جوانب هذه النواة أو اللفظة الرئيسة. «في المنظومة الوصفية، تكون العلاقة افتراضية ويتم التعبير عنها من الكل إلى الجزء، والنواة مرتبطة بأقمارها أو دوائرها الدلالية، وقد تحتوي على العديد من التراكبات الدلالية أو تتلقّى أجزاء من التراكبات الدلالية.» (نبي لو، ١٣٩٠ش: ٨٦)

٤. من وجهة نظر ريفاتير، إن الهيبوغرام، مجموعة كلمات موجودة مسبقاً يشار إليها بعلامة شعرية. والهيبوغرام يمكن أن يكون عبارة أو سلسلة من الجمل التي قد تأتي من الصور النمطية، أو نظاماً وصفيّاً. «إن تداعي الألفاظ والمعاني (الهيبوغرام) عبارة عن صورة نمطية في ذهن القارئ تستحضرها كلمة أو عبارة في النص. وتداعي الألفاظ والمعاني هي في الواقع قضايا رئيسة «لها تعبير واسع ويتكرر بشتى العناوين وربما يكون غير مألوف في النص الشعري.» (م.ن) في منهج ريفاتير، يتم العثور

هذا. نتوصل إلى الدلالة العميقة^١ في القصيدة. وفي النهاية يتم تبين عملية إنتاج النص^٢ كيفية تحويل الأصل (الدلالة المركزية) إلى النص في هذا البحث.

على الهيوغرام قبل اكتشاف النسيج البنيوي، ويرتبط الشعر بنسيجه البنيوي من خلال الهيوغرام. وهذا النسيج البنيوي هو الذي يوحد الشعر في نهاية المطاف. «(سلدن وويدوسون، ١٣٨٤ش: ٨٥) ١. وفقاً لريفاتير، كل قصيدة عبارة عن مظاهر متعددة لفكرة معينة ويسمى المنشأ أو الماتريس البنيوي، والوحدة البنيوية للنص هي نتيجة تحوّل هذا النسيج. ومنشأ الكلمة هو عبارة أو جملة بحيث يمكن إعادة كتابة نص القصيدة من جديد ولا يجوز استخدامها مباشرة في القصيدة. «الشعر هو نتيجة تحوّل هيكل أو جملة بسيطة أو لفظة، إلى بيان مسهب أكثر تعقيداً. والإطار هو أمر افتراضى يعمل على الوظيفة النحوية والمعجمية للبنية يمكن تلخيصه في كلمة واحدة. على أى حال، لم يتم العثور على الكلمة في النص، بل يعمل الإطار أو النسيج دائماً على شكل متغيرات متتالية. ويحدّد العنصر الثابت أى النمط أو الأسلوب شكل هذه المتغيرات. فالنسيج والنمط والنص متغيرات في بنية واحدة.» (ريفاتير، ١٩٧٨م: ٨٩).

٢. إن عملية إنتاج النص في منهج ريفاتير تحتوى على ثلاثة أسس:
الف) البسط: وهو أسلوب «تحوّل فيه بنية النص في النسيج إلى أشكال ومتغيرات معقدة.» (ريفاتير، ١٩٧٨م: ٣٩) هذا الأسلوب يمكن الشاعر من توزيع الدلالات المركزية في النص الشعري على شكل أجزاء مضغرة في أنحاء النص المختلفة. ويصوّر كلاً من هذه الأجزاء فى أيقونات منفصلة. بعبارة أخرى، «إن أسلوب البسط يخرج دلالة النص من كونها رؤية شخصية وعامة إلى رؤية متعددة الجوانب وجزئية.» (باينده، ١٣٨٦ش: ٧٧)

ب) قاعدة التحويل أو التحوير: تعنى فى منهج ريفاتير إجراء تغيير أو تعديل فى اللغة النظامية. والشاعر عند إنتاج النص الشعري يستعمل تعابير وأنماطاً أدبية مألوفة يجرى عليها بعض التغييرات فيجعل النص الأدبي سلسلة من حالات لاقواعدية. فالعناصر المستخدمة فى قاعدة التحويل «ها وظيفة مزدوجة؛ من ناحية تغيير الصورة النمطية أو العبارات المألوفة ومن ناحية أخرى تدلنا إلى النواة الدلالية للنص أو منشأ الدلالة ومتغيرات النسيج البنيوي.» (م.ن)

ج) دلالة المتغيرات متعددة العوامل: إن الكلمات داخل النتاج الأدبي لا تكون دالة باعتبار علاقتها المرجعية بعالم الواقع، بل إنها على العكس تكون دالة باعتبار علاقتها المرجعية مع علامات داخل العالم اللغوى من النص الشعري. (أبهريان، ١٣٩٢ش: ١٥) «إن المتغيرات متعددة الجوانب للدوال فى النص الشعري، يوهم للقارئ أن هناك عناصر دلالية ثابتة تتكرر فى النص. وجميع هذه العناصر الدلالية مترابطة مع متغيرات مشابهة تعود لثابت هو النواة الدلالية أو (الهيوغرام) وتظهر على أنها متغيرات للنسيج البنيوي.» (باينده، ١٣٨٦ش: ١٠٧) فى الواقع، إن المتغيرات متعددة العوامل هي خلق ألفاظ متعددة من لفظة واحدة تخلق علامات مغلقة داخل النص: «إن تأثير المتغيرات متعددة الجوانب يكمن فى تسرب دلالة الكلمة إلى عدة كلمات، يبدو وكأن تلك الكلمة تشبع الجملة بأكملها بالدلالة الأصلية وبالطريقة التي تجعل القارئ يشعر أن الجملة تشكل بشكل ثابت وصریح تلك الدلالة التي استمدّها من نفس الكلمة.» (ريفاتير، ١٩٧٨ش: ٥)

أسئلة البحث

- كيف تتم عملية كشف البنية العميقة لقصيدة "العبور إلى المنفى"؟
- ما هي الأسلوبية البنيوية في هذه القصيدة؟
- أياً من العناصر الانزياحية أكثر استخداماً في هذه القصيدة؟
- ما هي الدلالات العميقة في قصيدة "العبور إلى المنفى" المبنية على نظرية ريفاتير؟

فرضيات البحث

ويفترض أن:

- تحول النسيج البنيوي وأصل المدلولية إلى قصيدة "العبور إلى المنفى" من خلال ثلاث قواعد وأساليب؛ المتغيرات المتعددة العوامل، التحويل والبسط.
- إن العابر المتراكمة والأنظمة الوصفية هي من ضمن الأسلوبية البنيوية لهذه القصيدة.
- والعناصر الانزياحية مثل التشبيه والاستعارة هي أكثر استخداماً في القصيدة من غيرها.
- محور الدلالة العميقة في هذه القصيدة، يدور حول الخوف والقلق واليأس.

خلفية البحث

هناك دراسات ضئيلة تطرقت إلى شرح منهج ريفاتير وتطبيقه في الأدب العربي، بما في ذلك:

- أبهريان، سعيد. (١٣٩٢ش). تحليل مجموعه آينه‌اي براى صداها بر اساس نظريه‌ى نشانه‌شناسى شعر مايكل ريفتر (تحليل مجموعة مرآة للأصوات على ضوء نظرية ريفاتير السيميائية) في هذه الرسالة، حاول المؤلف تطبيق منهج ريفاتير السيميائية في بعض قصائد شفيعى كدكنى، ليتوصل إلى الشبكة الدلالية والأنظمة الوصفية والنواة الدلالية في هذه القصيدة.

- اصغرى، محمد جعفر وسميرا حيدري راد، كمال دهقانى اشكذرى (١٣٩٨ش). دراسة سيميائية فى قصيدتى "التينة الحمقاء" لأيليا أبى ماضى و"صنوبران" لمحمد جواد محبّت على ضوء نظرية ريفاتير. مجلة الجمعية الإيرانية للغة العربية وآدابها. المجلد ١٥، العدد ٥٢. فى هذه المقالة، شرح الكاتب البنية الدلالية المشتركة بين القصيدتين، وكشف التراكم الدلالى المشترك بين القصتين، بما فى ذلك الأنانية والقسوة والدمار. وقد توحدت القصيدتين فى هيبوغرام مشترك بينهما، وهو الحياة القائمة على الصداقة والصدق بعيدة عن حالة العُجب والغطرسة.
- آلگونه جوقانى، مسعود. (١٣٩٦ش). كاربست الكوى نشانه شناختى ريفاتير در خوانش شعر (تطبيق منهج ريفاتير السيميائى فى قراءة الشعر). پژوهش ادبيات معاصر جهان. المجلد ٢٢. العدد ١. حاول الكاتب فى هذه المقالة أن يشرح بعض الموضوعات مثل العناصر الانزياحية، التعابير المترجمة، المنظومة الوصفية، الماتريس البنيوى، النماذج وأجواء النص.
- تنها، فاطمه. نشانه شناسى ادبيات پايدارى عراق با تكيه بر رويکرد نشانه شناسى مايكل ريفاتير (سعدى يوسف، جواد الخطاب ويحى السماوى) (سيميائية أدب المقاومة فى العراق بناء على منهج ريفاتير السيميائى، سعدى يوسف، جواد الخطاب ويحى السماوى نموذجاً). جامعة شهيد مدنى آذربايجان. وقد حاولت الكاتبة فى هذه الرسالة تطبيق منهج ريفاتير السيميائى فى بعض قصائد شعراء المقاومة المذكورين والوصول إلى الشبكات الدلالية والمنظومة الوصفية والنواة الدلالية (الهيوغرام) فى هذه القصائد.
- أريس بودى راهارجور (٢٠١٨م). إيديولوجية حب الوطن من الشعر "مساء الخير يا وطنى" لعبد الرحمن صالح العشماوى (دراسة سيميوطيقية لميكائيل ريفاتير)، جامعة مولانا مالك إبراهيم الإسلامية الحكومية ملانج، ويذكر الكاتب فى هذه الرسالة أن العشماوى يصور جهاد الشباب الفلسطينى فى قصيدته ويدعو العالم العربى إلى الاهتمام بالحدث الفلسطينى والتأمل فيه. ويحاول الشاعر أن يصل إلى الطبقات الخفية فى هذه القصيدة بقراءة استرجاعية من

خلال نظرية ريفاتير السيميائية.

وهناك دراسات جرت أيضاً فيما يخص ديوان "تأبط منفى" لعدنان الصائغ، وهي:

- خضرى، على ورسول بلاوى وأمنة أبگون. (١٣٩٤ش). تجليات الغربة وظواهرها فى أشعار عدنان الصائغ ديوانا "تأبط منفى" و"تكوينات" نموذجاً. مجلة الجمعية الإيرانية للغة العربية وآدابها. العدد ٣٦. تظهر نتائج هذه الدراسة أن الشاعر على الرغم من كونه بعيداً عن الوطن، فإنه لا يزال متعلقاً بأصدقائه وأقاربه وربوع وطنه فى العراق، ويعبر عن حزنه بطريقة بسيطة بعيدة عن التصنع والتعقيد اللفظي.
- بهجات، عاطف. (١٩١٠م). انشطار الذات فى ديوان تأبط منفى لعدنان الصائغ. مجلة كلية الآداب، جامعة بنها، مصر، العدد ٢٣، مجلد ١. تطرق الكاتب إلى سبب تسمية الديوان بـ"تأبط منفى"، أولاً ثم قام بدراسة تشتت الذات الفردية والانطلاق فى قصائد متعددة من ديوانه، معتقداً أن الشاعر فى حال صراع بين الماضى والحاضر.

- الزريبي، وليد. (٢٠٠٨م). عدنان الصائغ تأبط منفى حوار ومنتخات شعرية. تونس. وهو نتيجة مقابلة أجراها الكاتب مع الشاعر نفسه عن حياته وأعماله وأفكاره. فى هذه الدراسة.

قام هذا البحث بتحليل ودراسة قصيدة "العبور إلى المنفى" وفق المنهج السيميائى لمايكل ريفاتير، وحتى الآن لم تتطرق أى دراسة إلى هذه القصيدة بهذا المنهج.

منهج "ريفاتير" السيميائى

إن الإجراء السيميائى متصل بمفهوم القراءة وهو يمر بمرحلتين من هذه القراءة؛ الأولى تسمى "القراءة الاستكشافية"، أو استرشادية وهى المرحلة الأولى من فك

١. فى القراءة الاستكشافية، يسعى القارئ إلى فهم الدلالة. ويحاول فى إرجاع الكلمات إلى عالم غير لفظى أى عالم الواقع. بعبارة أخرى «يقارن الكلمات حسب الأشياء والنص بأكمله حسب الواقع». (ريفاتير، ١٩٧٨م: ٢٦) هذه القراءة تتحكم على القارئ معرفته بمعجم الألفاظ ويفهم الدلالات حسب ما جاء فى المعجم وبالنتيجة تكون قراءته وفهمه للدلالة من خلال آلية المرجعية والمحاكاة والمستوى الأدنى للنص الشعرى. (أبهريان، ١٣٩٢ش: ١١)

الشفرات في النص الشعري، واتجاهه يسير في اتجاه حركة القصيدة، أى من الأعلى إلى الأسفل ومن السطر الأول إلى السطر الأخير. في هذه القراءة، يعتبر القارئ، بالنظر إلى مقدرته اللغوية، كل لفظة بمثابة دلالة مرتبطة بمعناها في العالم الواقعي وبالتالي يصل إلى فهم وإدراك معنى القصيدة واستيعابها بالشكل المطلوب. (ريفاتير، ١٩٧٨م: ٥) والمرحلة الثانية هي القراءة العميقة التأويلية وتسمى "القراءة الاستراتيجية" أو "القراءة الراجعة" من خلال قراءة الفرضية التي تشكلت في القراءة الاستكشافية، يتجاوز القارئ مستوى المعنى ويبحث عن المدلولية في القصيدة، ويشكل أخيراً الشبكة الدلالية في النص الشعري، وهي قضية أساسية تحكم على توفر الوحدة العضوية للقصيدة. (المرجع نفسه: ٦) بعبارة أخرى، يتوصل القارئ إلى "التعابير المترابطة"، المنظومة الوصفية" و"الهيوغرام" من خلال القراءة الاستراتيجية أو غير المباشرة، ويصل إلى "الماتريس" البنيوي للقصيدة، وأخيراً يعطى الماتريس (النسيج) وحدة للقصيدة. (فياض منش، ١٣٩٥ش: ١٤١) لذلك، يمكن القول إن العلامة الشعرية هي من جهة تعدّ النتاج النهائي لإبداع النص الأدبي ومن جهة أخرى تعتبر نقطة بداية للتفسير. أى أن القارئ يقلل من العلامات الشعرية المتعددة إلى ثابت واحد وما يعرف بالهيوغرام ضمن أسلوب تفسيري موحد للنص الأدبي. ثم يحاول إعادة بناء النسيج

١. في القراءة الاستراتيجية يتمكّن القارئ الذي يمتلك القدرة الأدبية لقراءة النص من إدراك العناصر اللاقواعدية فيقوده ذلك إلى مراجعة النص وتغيير ما تم فهمه في المرحلة الأولى فيقوم بفك شفرات الكلمات الدلالية ليتوصل إلى مدلولية النص. «في المرحلة الثانية، أو القراءة الراجعة التي يسمّيها ريفاتير التأويلية، يبدأ القارئ بفك رموز النص مع مراجعة ما قرأه في المرحلة الأولى.» (باينده، ١٣٨٦ش: ١٠٠) وهكذا، تصبح حواجز القراءة غير المتسقة في المستوى الأدنى (الاستكشافية) أساساً للقراءة الجديدة. وتسوق القارئ إلى المستوى المدلولية واحدة العلامة ويحصل على مفتاح المدلولية في نطاق أوسع.» (ريفاتير، ١٩٧٨م: ٦)

٢. لقد ميز ريفاتير بين الدلالة والمدلولية في قراءته للنص الشعري. في رأيه، إذا اعتبرنا القصيدة سلسلة من العبارات فإننا نقتصر اهتمامنا على معناها الظاهري، وهذا المعنى الظاهري أو السطحي يعبر عن معلومات وأخبار تتعلق بالقصيدة لا غير. في حين أن التأثير المباشر يحدثه اللامتوقع أو اللاقواعدية في عنصر من السلسلة الكلامية بالنسبة إلى عنصر سابق. يعتقد ريفاتير أن أبرز سمات الشعر يكمن في وحدة النص ويطلق على هذه الوحدة الشكلية والدلالية التي تمنع في عرض النص الشعري بصورة مباشرة، المدلولية.

البنىوى (الماتريس) من خلال تحديد الثابت أو النواة الدلالية للنص. وبالتالي، إذا كان الشاعر يخلق النص الشعري من خلال تبني لفظ واحد وبسطه، فالقارئ أيضاً فى تفسيره للموضوع، يتوصل إلى نوع من الإبداع فى الاتجاه المعاكس. (الكونه جونتقانى، ١٣٩٦ش: ٤١)

تطبيق منهج ريفاتير السيميائى فى إعادة قراءة قصيدة "العبور إلى المنفى"

"العبور إلى المنفى"

أنيُّنُ القطارِ يثيرُ شجنَ الأنفاقِ

هادراً على سِكَّةِ الذكرياتِ الطويلةِ

وأنا مُسمَّرٌ إلى النافذةِ

بنصفِ قلبِ

تاركاً نصفهُ الآخرَ على الطاولةِ

يلعبُ البوكرَ مع فتاةٍ حسيرةٍ الفخزينِ

تسألنى بالمِ ذَهولِ

لماذا أصابعي مُتهرَّثةٌ

كخشبِ التوابيتِ المُستهلَكةِ

وعجولةٍ كأنَّها تخشى ألا تُمسك شيئاً

فأحدثُّها عن الوطنِ

واللافتاتِ

والاستعمارِ

وأجدادِ الأُمَّةِ

والمضاجعاتِ الأولى فى المراحيضِ

فتميلُ بشعرِها النثيثِ على دموعى ولا تفهم

وفى الرُّكنِ الآخرِ

ينثرُ موزارتَ توقيعاتهِ على السهوبِ

...المُغَطَّة بالثلج

وطنى حزينٌ أكثر مما يجب
وأغنياً تى جامحةً وشرسةً وخجولةً
سأتمدّد على أولِ رصيفٍ أراهُ فى أوربا
رافعاً ساقى أمام المارّة
لأرِيهم فلقاتِ المدارسِ والمعتقلاتِ
التى أوصلتني إلى هنا
ليس ما أحمّلهُ فى جيوبى جوازُ سفرٍ
وإنما تاريخُ قهرٍ
حيث خمسون عاماً ونحن نجتزّ العلفَ

.... والخطابات

وسجائرَ اللفِّ ..

حيث تقفُ أمام المشانق
نتطلّع إلى جثتنا الملوحة
ونُصفقُ للحكام
خوفاً على ملقّاتِ أهلنا المحفوظةِ فى أقبيةِ الأمن..

حيث الوطن

يبدأ من خطابِ الرئيس

وينتهى بخطابِ الرئيس..

مروراً بشوارعِ الرئيس، وأغانى الرئيس، ومتاحفِ الرئيس، ومكّارمِ الرئيس،

وأشجارِ الرئيس، ومعاملِ الرئيس، وصحفِ الرئيس،

وإسطنبولِ الرئيس، وغيومِ الرئيس، ومعسكراتِ الرئيس،

وتماثيلِ الرئيس، وأفرانِ الرئيس، وأنواطِ الرئيس،

ومحظياتِ الرئيس، ومدارسِ الرئيس، ومزارعِ الرئيس وطقس

سُتحدّقُ طويلاً

فى عيني المبتلّتين بالمطرِ والبصاق
وتسألنى من أى بلادٍ أنا...

(الصائغ، ٢٠٠٤م: ٩١-٩٠)

القراءة الاستكشافية

هناك سلسلة من العناصر والتعابير مثل "أنين الأنفاق"، "سكة الذكريات الطويلة"، "الأصابع المتهرئة كخشب التوابيت"، "الوطن الحزين"، "أغنيات جاجة وشرسة وخجولة"، "تاريخ قهر"، "اجترار العلف والخطابات وسجائر اللف"، و... تمثل حالات اللاقواعدية أو مواضع الخروج عن النظام فى ثنايا النص. نظراً إلى أن هذه العناصر أو التعابير ترفض المعنى الظاهرى والسطحى وتعكس مفارقة للواقع، يمكن القول إن هناك معنى آخر يكمن فى عمق البناء الشعرى (أصغرى وآخرون، ١٣٩٨م: ٨٠). ووفقاً لمنهج ريفاتير، إن اكتشاف مدلولية النص يستوجب على القارئ أن يدرس الألفاظ وعناصرها الدلالية المشتركة وأن ينتبه إلى العناصر التعبيرية حتى يشعر بأبعادها الدلالية وتميزها. لهذا الغرض، نقوم أولاً بدراسة التعابير المتراكمة والمنظومة الوصفية فى القصيدة.

دراسة ركائز بناء النص الشعرى^١

التعابير المتراكمة

فى قصيدة "العبور إلى المنفى"، هناك سلسلة من من الألفاظ أو التعابير التى ترتبط مع بعضها من خلال المشاركة فى عنصر دلالى موحد:
العنصر الدلالى المشترك للألفاظ المتراكمة فى السلسلة الأولى يدور حول معنى "السلطة والهيمنة":

السلطة والهيمنة
الاستعمار، أقبية الأمن، الرئيس، المعسكرات، الخطابات، الفلقات، المعتقلات، الصحف

العنصر الدلالي المشترك للألفاظ المتراكمة في السلسلة الثانية يدور حول معنى
"المعاناة والألم والحزن":

المعاناة والألم والحزن
اجترار العلف، العيون المبتلّة، الأصابع المتهرثة، المعتقلات، ألم وذهول، خوف

٢ - ١

العنصر الدلالي المشترك للكلمات المتراكمة في السلسلة الثالثة يدور حول معنى
"الاستعمار":

الاستعمار
وطنى حزين، اجترار العلف، نصّق للحكام خوفاً، أهلنا المحفوظة في أقبية الأمن، يبدأ من خطاب الرئيس وينتهي بخطاب الرئيس: مروراً بشوارع الرئيس، وأغاني الرئيس، ومتاحف الرئيس، ومكازم الرئيس، وأشجار الرئيس، ومعامل الرئيس، وصحف الرئيس، وإسطنبول الرئيس، وغيوم الرئيس و... في قبضة الرئيس

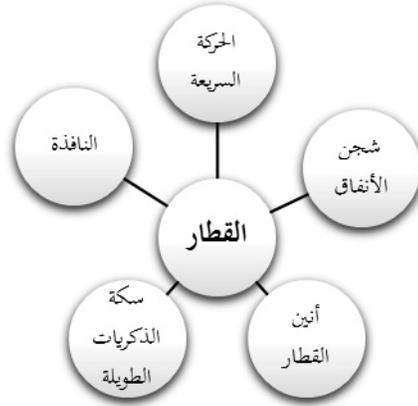
٣ - ١

العنصر الدلالي المشترك للكلمات المتراكمة في السلسلة الرابعة يدور حول معنى
"النضال والاحتجاج":

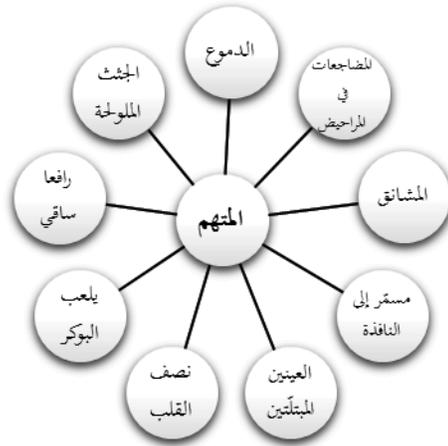
النضال والاحتجاج
أغنيات جامحة، فلقات المدارس، المعتقلات، جواز سفر، المشانق، الجثث الملوحة، ملفات، البصاق، العينين المبتلّتين، الأصابع المتهرثة، المعتقلات، الخوف

المنظومة الوصفية

في قصيدة "العبور إلى المنفى" هناك أربع منظومات وصفية تركز على "القطار
والمرأة والوطن والمتهم":



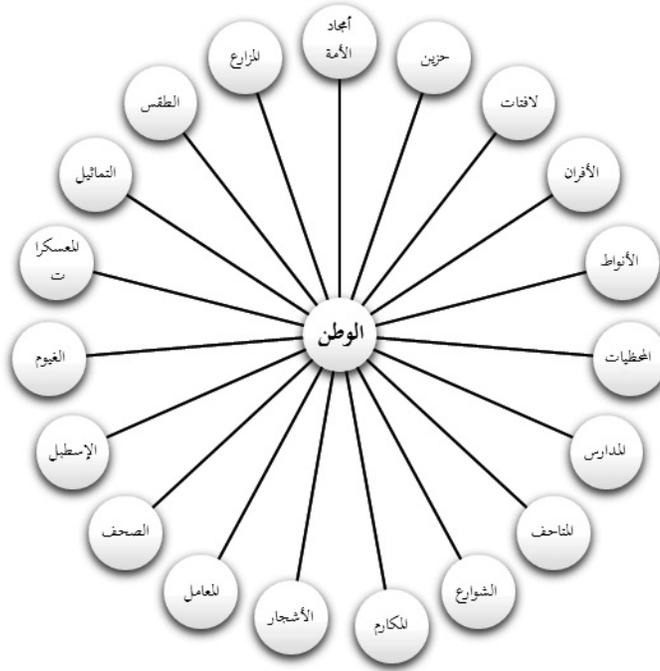
١ - ٢



٢ - ٢



٣ - ٢



٤-٢

العناصر اللاقواعدية (الانزياحية)

بدراسة ركائز بناء النص الشعري في القصيدة والمتمثلة تحديداً بالتعابير المترakمة والمنظومات الوصفية، يمكن القول إن العناصر أو العلامات اللاقواعدية في ركيزة التعابير المترakمة، ظهرت في تعابير استعارية كـ "الأغنيات الجاحمة والشرسة والخجولة"، "تاريخ قهر"، "اجترار الخطابات"، "اجترار سجائر اللف"، و... وكذلك في استعمال تعابير تشبيهية كـ "الأصابع المتهترئة كخشب التوابيت". وفي ركائز المنظومة الوصفية تظهر هذه العلامات اللاقواعدية في تعابير استعارية كـ "شجن الأنفاق"، "سكة الذكريات الطويلة"، "الوطن الحزين"، والتعابير التشبيهية كـ "الأصابع المتهترئة كخشب التوابيت"، والكنائية مثل: "تميل بشعرها النثيث على دموعي" (الالتكاء على الدموع) و... وكذلك المجاز اللغوي في علاقة الجزء بالكل. نلاحظ في المنظومة الوصفية، أن كل دائرة تدور حول "النواة الدلالية" تعدّ مظهرًا من مظاهر النواة الدلالية. فالنواة الدلالية المعينة تمثّل العنصر الثابت وهي بمثابة الكل والدوائر الدلالية التي تدور حول هذا المحور

بمثابة الأجزاء التي تحمل مدلولية التغيير.

الهيوغرام^١

إن ما توصلنا إليه من خلال دراسة عناصر التعابير المتراكمة والمنظومة الوصفية يمكن دراسته في عنصر الهيوغرام أيضاً. وهناك هيوغرامات ومضامين ثابتة يمكن الحصول عليها في قصيدة "العبور إلى المنفى":

١- الفترة الماضية المليئة بالفوضى والفتنة والظلم والاضطهاد وهيمنة الطغاة والمستعمرين (تاريخ قهر)

٢- القلق والحزن، التشرد، والإرغام على المغادرة وترك البلاد يلقي بظلاله على الحاضر.

٣- مستقبل مجهول ومظلم، كله حزن وألم ويأس بانتظار الشاعر.

تحديد المرجعية

وفق منهج ريفاتير، فإن المرجعية أو النسيج البنيوي يجب أن يكون على نحوٍ يمكنه إنتاج الهيوغرام (بنية موضوعية واحدة) والنص الشعري ويخلق الوحدة في بنية النص. في قصيدة "العبور إلى المنفى" حصلنا على النسيج البنيوي التالي:

حالة متدهورة ومأساوية للماضي - الحاضر المقترن بالقلق والحزن - ولا أمل في تحسين الأوضاع في المستقبل

عملية بناء النص

إن النسيج البنيوي في هذه القصيدة تحوّل إلى "العبور إلى المنفى" من خلال ثلاثة أسس هي؛ متغيرات متعددة العوامل، التحول أو الإحالة، البسط:

أسس المتغيرات متعددة العوامل

نتيجة لهذه القاعدة، فإن الدلالات المتعددة (المتغيرات) في هذه القصيدة لا ترجع

إلى مدلولها الحقيقي، وإنما إلى إشارات ودلالات أخرى داخل النص. ونشير إلى بعض هذه المتغيرات وهي:

المنفى ← الأغنيات الجامحة، فلكات المدارس، فلكات المعتقلات، جواز سفر، المشائق، الجثث الملوحة، الملفات، البصاق، العيون المبتلة، الأصابع المتهرئة، السجن، الخوف.

نظام الهيمنة ← الاستعمار، أقبية الأمن، الرئيس، المعسكرات، الخطاب، الجلد، الأسر، الصحف.

قاعدة التحويل أو الإحالة

الإحالة تجربة تنحصر في الإبداعات الأدبية التي تشكل ثقافة تسهم في تقبل أنماط متحددة من الإبداع وخلق دلالات لا حصر لها وهو ما يعرف بالتناسل ويلعب دوراً أساسياً في تمويه المعنى وتحويله نحو قابلية النص للتدليل. وهنا إشارة إلى بعض نماذج الإحالة في قصيدة "العبور إلى المنفى" على النحو التالي:

البلد يبدأ وينتهي بكلمات الرئيس. الشوارع والأغاني والمتاحف والتبرعات والأشجار والمعامل والصحف والإسطبل والغيوم والمعسكرات والتماثيل والأفران والأنواط والمحظيات والمدارس والمزارع والطقس جميعها ملك للرئيس. وهذا يذكرنا بالمثل الإيراني الذي يقول: بأن ممتلكاتي الخاصة بي ملكي وممتلكات الناس أيضاً هي ملك لي، ويشير هذا المثل إلى المعتدين الذين لا يمتنعون عن التعدي على ممتلكات الآخرين. ومن هذا المنطلق ينطبق المثل على هيبوغرام القصيدة وهو الهيمنة والاستعمار.

أسلوب البسط

نتيجة لبسط المضامين ودلالات النسيج البنيوي في النص الشعري، يقوم الشاعر بخلق متغيرات متعددة ومنفصلة وإبداع صور متعددة تتكرر في مقاطع النص الشعري المختلفة. في هذه القصيدة تتوسع متغيرات النسيج البنيوي على النحو التالي:

الأوضاع المتدهورة والمأساوية في الماضي	حالة الخوف والقلق والألم السائدة في الوقت الراهن	اليأس من تحسين الأوضاع في المستقبل
الحديث عن الوطن - اللافتات - الاستعمار - أمجاد الأمة والمضاجعات الأولى في المراحيض - الأصابع المتهزئة - ينثر موزارت تواقيعه على السهوب - الوطن الحزين - فلكات المدارس -	مسمر إلى النافذة بنصف قلب - تاركاً نصفه الآخر على الطاولة - يلعب البوكر .. - تميل على دموعي - فلكات المعتقلات - اجترار العلف، اجترار الخطابات وسجائر اللف - التصفيق خوفاً من الملفات - العيون المبتلة - كل شيء للرئيس.	أنين القطار يثير شجن الأنفاق - هادراً على سكة الذكريات الطويلة - جواز سفر - الوقوف أمام المشائق -

النتيجة

وفقاً لنظرية ريفاتير، إن مدلولية النص الشعري لا تفسر عادة بظاهر الدلالة. وتتميز أدبية النص بمساهمة المتلقى في إنتاج الدلالة أو الدلالات الممكنة، بحيث لم يعد القارئ طرفاً مستهلكاً للنص الإبداعي بل عنصراً منتجاً وحيوياً في كل مراحل الخلق والإبداع. ولهذا السبب يقترح ريفاتير ألا ينطلق المحلل الأسلوبي من النص مباشرة وإنما ينطلق من الأحكام التي يبيدها مجموع القراءة حوله لأن تلك الأحكام عبارة عن مثيرات أو استجابات نتجت عن منبّهات كامنة في صلب النص. فالأسلوب بهذا المعنى توتر دائم بين أحداث النص، ويؤثر في خلق الدلالات. والتعقيدات الدلالية في النص لها مبادئ توجيهية تلفت انتباه القارئ إلى المدلولية وجوانبها السيميائية. في هذه الدراسة وبعد تطبيق منهج ريفاتير السيميائي على هذه القصيدة واستناداً إلى المقدرة الأدبية التي يمتلكها القارئ، من خلال تحديد اللاقواعدية، دراسة التعابير المترامية، المنظومة الوصفية، وتحديد الهيوغرام والنسيج البنيوي، توصلنا إلى بنية موضوعية موحدة ومتسقة ما توحد النص الأدبي وتحوّله إلى علامة واحدة إن جاز التعبير. ومن بين هذه النتائج التي توصل إليه البحث من خلال تطبيق منهج ريفاتير السيميائي في إعادة قراءة لقصيدة "العبور إلى المنفى":

- فى تحليل هذه القصيدة، توصل البحث إلى سلسلة معينة من المفردات تشكل "القوة والسيطرة"، "المعاناة والألم والحزن"، "الاستعمار"، "النضال والاحتجاج" نواتها الرئيسية وما تعرف بالتعابير المتراكمة والأنظمة الوصفية المتمثلة بـ "القطار"، "المرأة"، "الوطن" و"المتهم" والنسيج النبوى فى الأوضاع المتدهورة والمأساوية فى الماضى - الوقت الراهن المقترن مع القلق والحزن - اليأس من تحسين الوضع فى المستقبل".

- والعناصر اللاقواعدية أو الانزياحية فى القصيدة هى؛ الاستعارة، التشبيه، الكناية، وكذلك علاقة الجزء من الكل.

- والهيبوغرام فى قصيدة "العبور إلى المنفى" هو:

١. الفترة الماضية المليئة بالفوضى، الفتن، الظلم والاضطهاد، هيمنة المستبدين والمستعمرين الأجانب.

٢. حالة القلق والخوف والحزن والتشرد والإرغام على المغادرة السائدة على الوقت الراهن.

٣. المستقبل المجهول والمظلم المليء بالأحزان واليأس أمام الشاعر.

أما عملية بناء النص بدأت بنسيج بنوى تحوّل إلى نص قصيدة "العبور إلى المنفى" من خلال ثلاثة أسس هى؛ متغيرات متعددة العوامل، التحول أو الإحالة، والبسط.

المصادر والمراجع

ابهریان، سعید. (١٣٩٢ش). تحليل مجموعه ی آینه ای برای صداها بر اساس نظریه ی نشانه شناسی شعر مایکل ریفاتر. رسالة ماجستير: جامعة كردستان.

اصغری، محمد جعفر و سمیرا حیدری راد؛ کمال دهقانی اشکذری. (١٣٩٨ش). «دراسة سيميائية فى قصيدتى "التينة الحمقاء" لإيليا أبى ماضى و"دوكاج" محمدجواد محبت على ضوء نظرية ريفاتير». مجلة الجمعية العلمية الايرانية للغة العربية وآدابها. السنة الخامسة عشر، العدد الثانى والخمسين.

صص ٦٣-٨٢

آگونه جوتقانى، مسعود. (١٣٩٦ش). «كاريست الكوى نشانه شناختى ريفاتر در خوانش شعر».

پژوهش ادبيات معاصر جهان. السنة الثانية والعشرين. العدد الأول. صص ٥٧-٣٣

بركت، بهزاد ودیگران. (١٣٨٩ش). «نشانه شناسی شعر. كاريست نظرية مایکل ريفاتر بر شعر ای

تطبيق منهج السيميائية عند "ريفاتير" في إعادة القراءة لتقصيدة "العبور إلى المنفى" لعدنان الصائغ / ١٥١

مرزيرگهر فروغ فرخزاد». فصل نامه پژوهش های زبان و ادبیات تطبیقی. السنة الأولى. العدد ٤. صص ١٣٠-١٠٩

بهجات، عاطف. (٢٠١٠م). «انشطار الذات في ديوان تأبط منفى لعدنان الصائغ». مجلة كلية الآداب. جامعة بنها. مصر. العدد الثالث والعشرين. مجلد ١. صص ١١٣-٦٧

پاینده، حسین. (١٣٨٧ش). «تقد شعر آی آدمها سروده نیما یوشیج از منظر نشانه شناسی». نامه فرهنگستان. السنة الرابعة. العدد العاشر. صص ١١٣-٩٥

الزریبی، ولید. (٢٠٠٨م). عدنان الصائغ تأبط منفى: حوار ومنتخبات شعرية. الطبعة الأولى. تونس: الشركة التونسية للنشر وتنمية فنون الرسم.

سلدن، رامن و پیتر ویدوسون. (١٣٨٤ش). راهنمای نظریه ادبی معاصر. ترجمه عباس مخبر. طهران: نشر نو.

الصائغ، عدنان. (٢٠٠٤م). الأعمال الشعرية. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

صدقی، حامد وسیدعدنان اشکوری و دیگران. (١٣٩٤ش). «دراسة صدى المقاومة في شعر عدنان الصائغ». إضاءات نقدية في الأدبين العربي والفارسي (فصلية محكمة). السنة الخامسة. العدد التاسع عشر. صص ٦١-٤١

فیاض منش، پرنده و علی صفایی سنگری. (زمستان ١٣٩٥ش). «خوانش شعر "نوبت" بر اساس رویکرد نشانه شناسی مایکل ریفاتر». فصلنامه پژوهش زبان و ادبیات فارسی. العدد الثالث والأربعين. صص ١٥٩-١٣٩

لیهان، جیل و کیت، گرین. (١٣٨٣ش). درسنامه نظریه و نقد ادبی. ترجمه گروه مترجمان. طهران: روزنگار.

نبی لو، علیرضا. (١٣٩٠ش). «کاربرد نظریه نشانه شناسی مایکل ریفاتر در تحلیل شعر ققنوس نیما». فصلنامه پژوهش های زبان شناختی در زبان های خارجی. السنة الأولى. العدد الأول.

صص ٨١-٩٤

-Riffaterre, Michael. (1978). Semiotics of Poetry. Bloomington: Indiana University Press.